

عنوان البحث (تجليات الانكسار في شعر ابن زيدون دراسة تحليلية)

Research title: (Manifestations of Depression in Ibn Zaydoun's Poetry: An Analytical Study

م.م زهراء حميد حسن كحيوش

M.M. Zahra Hamid Hassan Kahyoush

جامعة القاسم الخضراء / كلية التربية

Al-Qasim Green University, College of Education

الايمل / anor980mzhr@gmail.com

الكلمات المفتاحية: ابن زيدون وثقافة عصره ، تجليات الانكسار الذاتي ، تجليات الانكسار السياسي

المخلص :

يظهر شعر ابن زيدون تجربة إنسانية تتعدى أفق الغزل والسياسة لتصبح فضاءً شعرياً للخذلان والانكسار بابعاده المتعددة ؛ إذ يتجلى الانكسار الذاتي في معاناته النفسية العميقة، بين ماضٍ زاهر يحن إليه وواقعٍ مريرٍ مثقلٍ بالفقد والوحدة. فتظهر ذاته في صراع بين الكبرياء والضعف ويغدو الحنين عنده مرآة لجرحٍ داخلي ، وصوتاً للذات الجريحة التي لم تجد مأمنها في الحبّ ولا في الوطن أما الانكسار السياسي فيتجلى في استبطان الشاعر لمآسي الواقع الأندلسي، حيث الانقسامات والصراعات التي أطاحت بالمجد القرطبي. فعبر عن خيبة المثقف والاديب المنفي من وراء جدران الغربية، وبهذا يتحوّل شعره إلى صوت مزدوج يجمع بين صوت الفرد المكلوم وصدى الوطن الممزق إنّ تجربة الانكسار عند ابن زيدون ليست استسلاماً، بل تحوّلاً إبداعياً استطاع أن يصهر فيه جراحه الذاتية والسياسية في قالب شعري مانحاً الشعر الأندلسي بعده الإنساني الأسمى، وموحداً بين الاعتزاز بالمجد الغابر والوعي الذاتي

alkalimat almiftahiat :abin zaydun wathaqafat easrih , tajaliyat aliankisar
aldhaatii , tajaliyat aliainkisarialsiasi

Abstract: Ibn Zaydoun's poetry reveals a human experience that transcends the horizon of love and politics, becoming a poetic space for disappointment and brokenness in its multiple dimensions. Personal brokenness is manifested in his profound psychological suffering, between a prosperous past he longs for and a bitter reality burdened by loss and loneliness. His self is revealed in the tension between pride and weakness. For him, nostalgia becomes a mirror of an inner wound, a voice for the wounded self that has
nor in homeland. foundneithersafetyinlove

As for political brokenness, it is manifested in the poet's internalization of the tragedies of Andalusian reality, where divisions and conflicts toppled the glory of Cordoba. He expressed the disappointment of the exiled intellectual from behind the walls of exile. Thus, his poetry transformed into a dual voice, combining the voice of the grieving individual with the echo of a torn homeland.

creative Ibn Zaydun's experience of defeat was not a surrender, but rather a transformation in which he was able to fuse his personal and political wounds into a poetic form, granting Andalusian poetry its supreme human dimension and creating a bridge between pride in past glory and self-awa

المقدمة :

يُعدّ ابن زيدون من رواد الشعر الأندلسي الذين عبّروا بصدقٍ وعمقٍ عن التجربة الإنسانية في أبعادها النفسية والسياسية. فقد تميّزت حياته بتقلباتٍ حادّةٍ وأحداثٍ متناقضةٍ تراوحت بين المجد والانكسار، والعزّ والسقوط، الأمر الذي ترك أثره الواضح في نتاجه الشعري. وغدت قصائده مرآةً صادقةً لتجربته الذاتية والعاطفية والسياسية، قدّم من خلال شعره رؤيةً إنسانية عميقة تكشف عن مأساة الذات أمام قسوة الواقع وتحولاته إذ لم يكن شعره مجرد تعبير عاطفي أو سردٍ لأحداثٍ شخصية.

ويسعى البحث إلى استجلاء التجليات الكامنة وراء إنتاج النص الشعري وتتجلى مظاهر الانكسار الذاتي والسياسي في شعره عبر عدة عناصر أساسية، منها الزمن الذي يعكس تقلبات الأحداث وفقدان المجد، و الخيانة والوشاة كمصدر للمكائد، وصراعات السلطة، إلى جانب لجوئه إلى الطبيعة كوسيلة لتجسيد الألم النفسي واستحضار الذكريات والأماكن التي كانت تمثل له الأمان

لذلك يتناول هذا البحث تجليات الانكسار في شعر ابن زيدون دراسةً تحليليةً، سعياً إلى الكشف عن أبعادها النفسية والسياسية. وقد تمّ تقسيم البحث إلى مطلبين رئيسيين:

تناول المطلب الأول تجليات الانكسار الذاتي، في حين خُصّص المطلب الثاني لدراسة تجليات الانكسار السياسي في شعره. واحتُتمّ البحث بعرض أهمّ النتائج التي توصل إليها، مع فهرسة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في جمع مادته العلمية وتنظيمها.

(تجليات الانكسار في شعر ابن زيدون دراسة تحليلية)
م.م زهراء حميد حسن كحيوش

التمهيد :

الانكسار لغةً:

من خلال تتبع مفهوم الانكسار في المعاجم العربية يتضح أنه يركز على معانٍ تدور في إطار الضعف والعجز حيث وردَ في لسان العرب: "كَسَرَ ، وانكسر الحد فتر عنه، وكل شيء فتر عن أمرٍ يعجز عنه، يقال فيه انكسر (1) وانكسر عن الشيء أي عجز عنه" (2)

ويتمحور المعنى حول (دلالات العجز والتجزؤ والانقطاع) كما جاء في قوله: "كسر القوم" أي هزموا وخضعوا (3)

فتشير هذه الدلالات إلى الانهزام والتراجع والإذلال والإخضاع، فهو يدل على الضعف بعد القوة، والخضوع بعد العز، إذ يفهم الانكسار في بعده اللغوي بوصفه حالة من الانهزام الداخلي والافتقار إلى مظاهر القوة والتماسك

الانكسار اصطلاحاً:

يُقصدُ به ظاهرةً نفسيةً داخليةً تنسُم بالعمق والديمومة، وتنبثقُ من تفاعل الذات الإنسانية مع مؤثراتٍ خارجيةٍ وداخليةٍ متعدّدة، تخضع لظروفِ الواقعِ النفسي والاجتماعي الذي يُحيطُ بالفرد

ويُعَدُّ الانكسارُ تجربةً حياتيةً ذات ابعاد إنسانيةً عميقةً لا يمكنُ عزلها أو اختزالها، إذ تمثلُ حالةً وعيٍ مأساويٍّ تتجذّرُ في أعماقِ الذاتِ حين يُدركُ الإنسانُ عجزَهُ أمامَ واقعه أو ما يُواجههُ من ضغوطٍ وأحداثٍ قاهرةٍ فتُصبحُ التجربةُ انعكاساً لِتصدُّعِ البنيةِ الوجدانيةِ للذات، وما يُصاحبُها من فقدٍ وانهيارٍ داخلي (4) فالانكسار ليس مجرد حزنٍ عابرٍ، بل هو حالةٌ وجوديةٌ تعبّر عن انهيار التماسك الداخلي للإنسان أمام قوى الواقع القاسي

يتقا طع المفهوم اللغوي والاصطلاحي (للانكسار) في محور الدلالة على التراجع والانهزام الداخلي والضعف غير أن اختلافهما يتبدى الوظيفة إذ يتحول الانكسار في الحقل الشعري من حدوده اللغوية إلى فضاءٍ دلاليٍّ أوسع تُعاد فيه صياغة التجربة الإنسانية التي تُعبّر عن توتر الذات أمام تقلبات الحياة

ابن زيدون وثقافته عصره

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، وُلِدَ في قرطبة عام (394هـ / 1003م)⁽⁵⁾.

ينتمي إلى أسرة عربية عريقة ذات نفوذ، تجمع بين الفقه والجاه، حيث كان جدّه لأُمّه قاضيًا وجيهًا عُرف بغزارة علمه وثرائه.

وينحدر ابن زيدون من أسرة قريشية أصيلة، ويُنسب إلى بني مخزوم، ممّا أكسبه مكانة رفيعة بين معاصريه ترعرع في محيطٍ علمي وثقافي زاخر، فصار واحدًا من كبار أدباء عصره.

عاش ونشأ في مرحلة تاريخية حرجية اتسمت بالاضطراب السياسي، وما لبثت أن اندلعت الفتن وعمت أرجاء الأندلس، ممّا أدى إلى انهيار الدولة الأموية⁽⁶⁾ وظهور دول الطوائف (422هـ – 463هـ)، ومع ذلك، بقيت قرطبة مركز إشعاع ثقافي وحضاري، وفضاء مزدهرًا بالعلم والأدب والفنون وفي هذا المناخ الثقافي نشأ ابن زيدون، حيث فتحت أمامه آفاق المعرفة، وأتيح له مخالطة العلماء ورجال الفكر والأدب، وحضور المجالس العلمية والثقافية

أقام ابن زيدون علاقات وثيقة مع أمراء ووجهاء عصره، ممّا منحه فضاءً رحبًا لصفلي موهبة ومهاراته الأدبية والسياسية كما مكنته خبرته العلمية وأدب من نيل مكانة رفيعة لدى الطبقة

ومع ذلك، بقيت قرطبة مركز إشعاع ثقافي وحضاري، وفضاء مزدهرًا بالعلم والأدب والفنون وفي هذا المناخ الثقافي نشأ ابن زيدون، حيث فتحت أمامه آفاق المعرفة، وأتيح له مخالطة العلماء ورجال الفكر والأدب، وحضور المجالس العلمية والثقافية

أقام ابن زيدون علاقات وثيقة مع أمراء ووجهاء عصره، ممّا منحه فضاءً رحبًا لصفلي موهبة ومهاراته الأدبية والسياسية. كما مكنته خبرته العلمية وأدب من نيل مكانة رفيعة لدى الطبقة الحاكمة، وبالأخص أسرة بني جهور

وكانت هذه المكانة العامل الأساسي في تمكّنه من الجمع بين النفوذ السياسي والتميز الأدبي في الوقت نفسه⁽⁷⁾.

ونظرًا للمكانة المميزة التي حظي بها في البلاط الأندلسي وقدرته على الجمع بين البراعة الأدبية والنفوذ السياسي منح ابن جهور ابن زيدون لقب «ذو الوزارتين» تمييزًا له وتعظيمًا لمكانته⁽⁸⁾

اذ يعدّ ابن زيدون من أبرز الاسماء الشعرية التي شكّلت معلّمًا مميزًا في مسار الأدب الأندلسي حيث اتّسمت شخصيته بتداخل البعد السياسي مع الوجداني الشعري، فانعكس ذلك في نتاجه الأدبي الذي مثل تجربة إنسانية عميقة ومتداخلة الملامح، تجسد من خلالها تفاعله مع واقعه حيث تمثل التجربة العاطفية في حياة ابن زيدون من أبرز المحطات التي أسهمت في تشكيل ملامح شخصيته الإبداعية، إذ مثلت علاقته بولادة بنت المستكفي تجربة وجدانية عميقة، كشفت عن تفاعل الذات الشاعرة مع انفعالاتها وأزماتها. غير أنّ الطبيعة النفسية والمزاج السياسييهما ألقى بظلاله عليه فتحوّل الحب في شعره إلى مزيج من الخذلان والفقد والإحساس بالاعتراب

(تجليات الانكسار في شعر ابن زيدون دراسة تحليلية)
م.م زهراء حميد حسن كحيوش

المبحث الأول : تجليات الانكسار الذاتي في شعر ابن زيدون

الانكسار الذاتي عند ابن زيدون يمثل أبرز المظاهر التي تكشف عن الجانب النفسي في تجربته الشعرية، إذ عبّر من خلاله عن صراعه الداخلي بين مشاعره وآماله من جهة، وواقعه المؤلم من جهة أخرى حيث تظهر في شعره ذاتٌ حزينة تعيش حالة من الفقد والاعتراب⁽⁹⁾، لذا عند قراءة أشعاره في تجربة العاطفية والسياسية نجد قصائده مشبعة بنبرة الأسى والحنين والاعتراف بالعجز أمام ما واجهه من خيبات وأحداث مؤلمة. إنَّ فقهه لولادة بنت المستكفي لم يكن مجرد تجربة عاطفية عابرة، بل رمزاً لفقد الاستقرار النفسي⁽¹⁰⁾ وهو ما جعل شعره مرآة صادقة لاضطرابه النفسي وحنينه إلى الاستقرار المفقود.

تتجلى مظاهر الانكسار الذاتي في شعره من خلال كثرة الشكوى، واستحضار الذكريات، والحديث عن الوحدة والحنين إلى الماضي، إضافة إلى استعمال الألفاظ ذات الدلالات الحزينة مثل (الدمع، والفقد، والأنين، والغربة). كما تتضح في صورته الشعرية التي تجمع بين العاطفة المجروحة والرغبة في البقاء، مما يعكس عمق التجربة النفسية التي صاغها ابن زيدون

عبر ابن زيدون عن عن احساسه با الاعتراب النفسي مخاطباً الذات المنهكة بالحنن والاعتراب
قائلاً (11)

يَا دَمْعُ صُبِّ! مَا شِئْتُ أَنْ تَصُوبَا
وَيَا فُؤَادِي أَنْ تَتُدُوبَا
إِذِ الرَّزَايَا أَصْبَحَتْ ضُرُوبَا
لَمْ أَرِ لِي فِي أَهْلِهَا ضَرِيبَا
قَدْ مَلَأَ الشَّوْقُ الْحَشَّاءُ نُدُوبَا
فِي الْعَرَبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ عَرِيبَا
عَلَيْلَ دَهْرٍ سَامَنِي تَغْذِيبَا

في هذا النص الشعري يخاطب ابن زيدون فؤاده ودموعه وهو بعيد عن الحبيب والوطن ويوجه نداء داخليا ليحول الحزن من مجرد شعور الى كائن حي بحيث يصبح المه حاضرا وملموسا لغرض بيان الألم النفسي اذ يؤكد تجربة مركبة وحزناً ليس عابراً بل يجمع بين انكسار ذاتي نفسي داخلي واستسلام القلب للالم ويتأثر بالمتاعب والمصائب التراكمية فالضعف الداخلي جاء للشاعر نتيجة ضغط خارجي فيولد لدى الشاعر شعوره بالياس والاحباط نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة .

يعبر ابن زيدون عن مشاعره المكبوتة قائلاً(12)

سأبكي على حظي لديك كما بكى ربيعة لما ضل عنه ذؤاب
وأشكو بنو الجنب عن كل مضجع كما يتجافى بالأسير ظراب

يفصح الشاعر في نصّه عن عواطفه المضمرّة التي تتجلى عبر صورٍ شعرية تعبّر عن الانكسار الوجداني وما يصاحبه من حزن وبكاءٍ وعزلةٍ نفسية. ويستعين في ذلك باستحضار الرموز التاريخية التي تُكثف دلالات المعاناة، كما في استدعائه مشهد (ربيعة) الذي يرمز إلى الفقد والحرمان. ومن خلال هذا التوظيف الرمزي، يتحول النص إلى تجربة شعورية مبكرة تكشف عن تداخل البعد الذاتي بالبعد التاريخي، حيث يجسد الشاعر إحساسه بالخذلان من خلال صورة (الأسير المجافي) عنه في إشارة إلى العزلة والبعد القسري ويُلاحظ أن الشاعر يلجأ للشعر بوصفه ملاذاً وجدانياً وأداةً لإبراز عمق التجربة النفسية وانعكاسها على البنية الشعورية للنص

ويفسف قلب الزمان وفقدان الوفاء رمز للانكسار النفسي (13)

أَن الزَّمانَ الَّذي ما زالَ يُضحِكُنَا أنسا بقرِبهم قَد عادَ يُبكِنا

غِظَ العِدى مِن نَساقِنا الهوى فَدَعوا بأن نَعصَّ، فَقالَ الذَّهرُ آمِنا

يعمد ابن زيدون الى توظيف الرموز الزمنية في شعره توظيفاً دلاليًا يعكس من خلاله عمق الانكسار النفسي والاجتماعي الذي عاشه، إذ تتحول هذه الرموز إلى مرآة فنية تعكس اضطراب الواقع وتحولاته في ظل تقلب الأحوال السياسية والاجتماعية. ومن خلال هذا البناء الرمزي، يُبرز الشاعر تباين المشاعر الإنسانية بين الأمل والحزن، والوفاء والخيانة، فيتجلى النص بوصفه صورةً فنيةً لواقع مأزوم أثرت فيه التحولات الخارجية، وأسهمت في تفكك الذات الشاعرة وانكسارها أمام ضغوط المجتمع وتقلبات الزمان

لجأ ابن زيدون الى استدعاء أماكن الماضي الزاهر في مواجهة الحاضر الفارغ والمقيد في إبراز التباين بين ما كان عليه الواقع وما آل إليه، الأمر الذي يُكثف لدى الشاعر الشعور بالخذلان والانكسار النفسي. فالمكان التاريخي لا يقتصر دوره على استحضار الذكريات، بل يتحول إلى مرآة تعكس الاضطراب النفسي (14)

إني ذكرتك بالزهراء مُشتاقاً والأفق طلق ومراى الأرض قَد راقا
وللنسيم إعتلال في أصائله كأنه رق لي فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضي مُبتسِم كما شفقت عن اللبّات أطواقا
يوم كأيام ذات لنا انصرمت بنتنا لها حين نام الدهر سراقا
تلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كان أعينه إذ عاينت أرقى بكت لما بي فجال الدمع رراقا

يجسد ابن زيدون في هذا المشهد الشعري ملامح الانكسار النفسي من خلال توظيفه للذكريات المكانية والطبيعية التي تحوّلت في تجربته الشعرية إلى رموز تحمل دلالات إنسانية عميقة. فالمكان، ولا سيما (الزهراء)*، يستعيد الشاعر بوصفه فضاءً للألفة والأنس، لكنه في سياق التجربة يتحوّل إلى رمزٍ للفقد والانفصال، والروض اعتبره ساحة فقد فالتخذ من النص الشعري فضاءً لمعالجة هذا الجرح ويعكس الحنين إلى زمن الهناء والطمأنينة الذي انقضى ومن خلال هذا التداخل بين الرمزي والمكاني، تتجلى معاناة الذات الشاعرة التي تعيش تمرقاً بين الذاكرة والواقع، فيتحوّل النص إلى تعبيرٍ فني عن الانكسار الإنساني العميق الناتج عن تجربة السجن والفقد

قال ابن زيدون (15) في إطار الغرض ذاته، يستعيد الشاعر (قرطبة) لتكون رمزاً للألفة والحنين إلى الماضي، مستحضراً من خلال ذكرها المشاعر المرتبطة بالحرية والطمأنينة التي فقدها. ويعمل هذا الاستدعاء المكاني على تجسيد الانكسار النفسي والوجداني الناتج عن الفقد، إذ تتحول المدينة في النص إلى مرآة تعكس العلاقة بين الذات والمكان، حيث يقول :

تنشق من عرف الصبا ما تنشقاً
وعاوده ذكر الصبا فتشوقاً
وما زال لمع البرق لما تالفا

(تجليات الانكسار في شعر ابن زيدون دراسة تحليلية) م.م زهراء حميد حسن كحيوش

يهيب بدمع العين حتى تدفقا
وهل يملك الدمع المشوق المصبا
يستحضر الشاعر في هذا النص ذكريات الصبا وأيام الشباب، إذ يشير بقوله (تنشق من عرف الصبا ما تنشقاً) إلى أن هذه الذكريات تنشق من أعماق النفس لتثير وجدانه، فتظهر عجزه وضعفه أمام ما فقده، ويعيد من خلالها إحياء المشاعر المكبوتة. ويعكس هذا الاستدعاء المكثف للماضي شعور الشاعر بالعجز والحرمان، فيلجأ إلى الرموز الطبيعية لتجسيد تلك الذكريات كدلالة على الاستقرار وفترات النعيم الماضية. يتضح التناقض بين اللذة السابقة والمعاناة الحالية، مما يُعمق شعوره بالانكسار الداخلي ويجعل تجربة الحنين مرآة لتجربة الألم النفسي والاجتماعي التي يعيشها

يشكو ابن زيدون الغربية (غربة الروح والمكان) والفقد العاطفي قائلاً (16) و
هَلْ تَذْكُرُونَ غريباً عادَهُ شَجَنُ
مَنْ ذَكَرَكُمْ وَجفاً أُجفانَهُ الوَسْنُ ؟
يُخْفِي لَواعِجَهُ والشَّوْقُ يَفْضَحُهُ
فَقَدْ تَساوَى لَدَيْهِ السِّرُّ والْعَلْنُ
يا وَيَلْتَأهُ ، أَيَقَى في جِوانِحِهِ
فؤادُهُ وَهُوَ بِالْأَطْلالِ مُرْتَهَنُ ؟

يستهل الشاعر نصه بالاستفهام، ليعبر عن حالته من الانكسار النفسي والحنين، حاملاً في صوغه الشعوري نغمة الألم والوجع الداخلي التي تتجلى في شعوره بالغربة، سواء كانت غربة الروح أو المكان ويغمر النص روح الغربة واليتم النفسي، حيث يقدم الشاعر نفسه كالمفني نفسياً ووجدانياً، مثقلاً بالأحزان والهموم، وما أصابه من فراق الأحبة والحرمان من الوطن والأهل، الذين أصبحوا غائبين عنه محاور النص تدور حول الغربة وفقدان الأحبة والحرمان العاطفي والمكاني، حيث صور حزنه وتجربته الشخصية بأسلوب يجعلها حاضرة بين العيون، متجلية في الدموع المتفجرة، فتصبح هذه الدموع رمزاً لانتهياره النفسي وتجسيدها للمعاناة الداخلية أرسل ابن زيدون هذه القصيدة إلى ولادة بنت المستكفي يشكو فيها فراقها، ويتحسر على أيام وصالها، ويطلب منها أن تظل على عهده(17)

أضحى التَّنائي بَدِيلاً مِنْ تَدانينا
وَنابَ عَن طيبِ لُقيانا تَجافينا
ألا وَقَدْ حانَ صُبْحُ النَّيْنِ صَبَّحنا
حِينَ، فَقامَ بنا لِلحَينِ ناعينا
مَنْ مُبْلِغُ المُلِيسينا بانْتِزاجِهِمْ
حزناً مَعَ الدَّهرِ لا يَبْلَى وَيَبْلينا
تعدّ هذه القصيدة من أبرز النصوص التي تجسّد ذروة الانكسار العاطفي في شعر ابن زيدون، إذ يمتزج فيها (الحنين والوفاء والعتاب والذكريات) التي تحوّلت إلى مصدرٍ للألم واللوعة. وقد وجهها الشاعر إلى ولادة بنت المستكفي بعد أن افترقا نتيجة الخلافات والدسائس السياسية(18) في قرطبة، فعبر من خلالها عن انكسار النفس عبر ثنائية الفقد والحنين. فقد تحوّل الحب، الذي كان في ماضيه مصدر سعادة وأمل، إلى هجرٍ وجفاءٍ حلّ محل الوصال، ليغدو الهجر عنواناً للفقد والخيبة، والتجافي رمزاً لتحوّل العاطفة إلى وجعٍ وجوديٍّ عميق.

المبحث الثاني : تجليات الانكسار السياسي

تجلّى مظاهر الانكسار السياسي في شعر ابن زيدون من خلال وعيه النقدي بالسلطة والزمن، فقد شكّلت تجربته في السجن منعطفاً وجودياً جعله يعيد النظر في ذاته والعالم من حوله، متحوّلاً من شاعر غزل إلى شاعر يتأمل قضايا الحرية والقيد في السجن ، وكان طموحه السياسي سبباً في سجنه(19) وانعكس

هذا الانكسار في شعره بوصفٍ فنيٍّ مأساويٍّ يصوّر خيبة الأمل والاعتراب والخذلان أمام قسوة السلطة ، لتصبح قصائده وثيقة نقدية تكشف تناقضات الواقع السياسي وتعبّر عن تحطّم المثال الإنساني في مواجهة استبداد الزمن والحكم

قال وهو في السجن يهجو أبا الحزم و لم يكنف ابن زيدون بالتّعريض تلميحا بل قال بندم شديد وتحدّ كبير (20)

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَ قَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ زَمَنِي فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَابِي

لا تَخْشَ فِي حَقِّي بِمَا أَمْضَيْتَهُ مِنْ ذَلِكَ فِيَّ وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي

يُظهر ابن زيدون في هذين البيتين موقفاً صريحاً يتجاوز التلميح إلى التصريح، إذ يعبر فيهما عن ندمه الشديد على مدحه للوزير الذي كان سبباً في محنته وسجنه. فهو يواجهه مواجهة مباشرة تنطوي على جرأة وتحدّ، مؤكداً أن ما لقيه من جزاء لم يكن إلا ثمرة إخلاصه له في الماضي. ويتجلى في النص إحساس المرارة والخيبة الناتجة عن خيانة السلطة، كما يعكس وعي الشاعر بانكساره السياسي، وهذا عكس ما اعتاد عليه الشعراء المديح في قصور الحكام ينال الرفعة والتكريم الا انه انعكس مدحه نقمة عليه اذ تحوّل المدح الذي كان وسيلة تقرب إلى سبب للعقاب والمهانة.

يقدم ابن زيدون عتاباً سياسياً ممزوجاً بالألم والندم، يتخذ فيه من الشكوى وسيلةً للتعبير عن خيبته من السلطة، فيوجه نقداً خفياً لها(21)

قل للوزير الذي تأمله وزري
اصخ لهمس عتابٍ تحته مقّة
مالمتاب الذي احصفت عقدته
إن ضاق مضطرب او هال مطلع
وكلف النفس منها فوق ما تسع
قد خامر القلب من تضييعه جزع؟

يخاطب الشاعر الأشخاص المسؤولين عن السلطة، معبراً من خلال خطابه عن موقفه السياسي وحالة انكساره النفسي، وقد تجلّى ذلك في أسلوب الشكوى والتلميح الذي استخدمه، حيث صاغ عتابه بلغة خافتة (اصخ لهمس عتاب) تحمل الألم والمرارة، وتعكس إحساسه بالخذلان والظلم في مواجهة السلطة لاتنصفه فيمثل النص انعكاساً لحالته المأزومة تحت وطأة الضغط والقهر السياسي

ويستحظر الشاعر اماكن الماضي الزاهر (22)

أنسى زماناً بالعقاب مرفلاً
وعيشاً بأكناف الرصافة دغفلاً
ومغنى إزاء الجعفرية أقبلاً
لنعم مراد النفس روضاً وجدولاً

يتعمد ابن زيدون في هذا النص استحضار أماكن الرصافة والجعفرية، التي كانت رموزاً للأنس والبهجة وفضاءات لمجده وسلطته واستقراره السياسي قبل السجن، ليجسد الانكسار السياسي ويعبر عن فقدان المكانة والسلطة. فهو يجعل من المكان رمزاً يعكس شعوره بالاعتراب النفسي، حيث يستعيد فضاءات الماضي وأيام النعيم والمجد حين كان وزيراً ذو سلطة ونفوذ، ليقابلها بحاضره البائس وواقعه القاسي بعد السجن والنفي.

(تجليات الانكسار في شعر ابن زيدون دراسة تحليلية) م.م زهراء حميد حسن كحيوش

نظم ابن زيدون هذه القصيدة في السجن يشكو سوء حاله (23) يقول
الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديم
وطرد ما انقضى الى ان تقضى زمن ما ذمامه بالذميم
كتب ابن زيدون قصائده اثناء سجنه في اسليبه يعبر من خلالها عن اشتياقه لايام الرفاه والمجد في
قرطبه حيث كان وزيرا مقربا من الحكم بني جمهور ويمتلك السلطة والنفوذ الى ان حاله دون ذلك فقد
هذه المكانه بعدما سجن ظلما اثر اتهامه بالخيانة السياسية وانعكس ذلك على شعره فبرزت فيه مشاعر
انكسار السياسي المرير فيعترف بزوال مجده وسلطته وادراكه للواقع السياسي القاسي
ارسل هذه القصيدة من سجنه يخاطب الوزير ابا حفص بن برد قائلاً(24)

يا ابا حفص وما سواك في فهم اياس
ما ترى في معشر حالو على العهد وخاسو
وارأني سامرياً يتقي منه المساس
اذوب هامت بلحمي فانتهاش وانتهاش
إن قسا الدهر فللماء من الصخر انجاس
ولئن امسيث محبوساً فللغيث احتباس
يبوح الشاعر بكسرة مشاعره بسبب خيانات الاصدقاء له وتبدل ولاءات السياسية بعد اتهامه بالغدر
والخيانة حتى ان شبه نفسه ب(السامري) اشارة رمزية الى انه منبوذ بعد ما كان في يوم من الايام
صاحب شأن وتأثير ثم اصبح متهما ومطرودا ، عبر عن وعي ماساوي عن تقلبات الزمان وخيانة
القربى له ويوصف اعدائه بالذئاب اشاره الى وحشيته الواقع السياسي المرير الذي كان يعيشه الذي
اطاح بمكانته فاصبح شاعرا منكسرا يشعر بالجزله في وطنه وبين قومه.

يوجه خطابه الى بني جهور (25)

بني جهور! انتم سماء رياسه لعافيكم في افقها انجم زهر
ترى الدهر إن يبطش فمنكم يمنه وإن تضحك الدنيا فانتم لها ثغر
لكم كل رقراق السماح ، كأنه حسام عليه من طلاقته اثر
سحائب نعمى ايرقت وتدفقت فيصيبها الجدوى وبارقها البشر

خاطب ابن زيدون في هذه القصيدة الأسرة الحاكمة بلغة ظاهرها مدح وتقدير، فيصفهم بالرفعة والمكانة
المرموقة إلا أن باطن النص يخفي نقداً لاذعاً وتوبيخاً ضمنياً، يعكس موقفه النفسي بعد فقدانه مكانته
السياسية ونفيه من قرطبة إثر اتهامه بالتآمر والتشكيك في شرعية الحكم
لأرجاع الحكم الى الامويين والعمل ضد سلطة بني جهور فتحول من حاكم ووزير الى متهم لذا ولد
في نفسه شعور بالقهر والخذلان فيتحول النص من رسالة مدح ظاهرية إلى مرآة لمعانته النفسية
وانكساره السياسي، لإيصال ألم النفي والظلم الذي تعرض له.
الخاتمة :

سعى البحث تحديد تجليات الانكسار الذاتي والسياسي في شعر ابن زيدون من خلال تتبع تجربته
الشعرية التي جسدت صور الصراع بين الذات والواقع وبين الطموح والخيبة والانكسار وقد اتضح ان
ابن زيدون لم يكن شاعرا عاطفيا او منفييا سياسيا فحسب بل مثل صوتا انسانيا معبرا عن معاناته عصر
مضطرب شهد تقلبات الحكم والسلطة وقد تبين ان مظاهر الانكسار الذاتي لدى الشاعر تجلت في ازيمته
النفسية عن فقدان الحبيبة وانهيار علاقته بولادة بنت المستكفي حيث تحول الحب عنده من مصدر للأنس

والطمأنينة الى كسر داخلي فاصبح شعره يعكس حالته اللوعة على الفقد ، ورسم صورته مؤثرة تعبر عن ضعف وهشاشته الانسان امام قسوة الفقد والخيبة
اما الانكسار السياسي فتضح تجلياته من خلال تحليل التجربة الشعرية لدى ابن زيدون حيث كانت صدى مباشرا للواقع الاندلسي الممزق بالصراعات والوشايات اذ تمثل تجربة السجن والنفي لدى الشاعر مرحلة مأساوية من حياة عبر عنها بلغة شعرية تتم عن وعي نقدي بالسلطة والزمن وكذلك عن ادراك عميق لفناء السلطة وزوال المكانة ، والزمن الذي يعكس تقلبات الاحداث وفقدان المجد السابق والسلطة الحاكمة (بني جهور) كرمز للصراعات السياسية التي أدت الى شعوره بالاغتراب والانكسار
استنادا الى دراسة وتحليل النصوص تبين ان مظاهر الانكسار في شعر ابن زيدون لا تقتصر على البعد الشخصي لتشمل البعد السياسي والاجتماعي ايضا اذا اتسمت التجربة لديه بكونها نسقا فنيا منفردا صاغ خطابه الشعري ويضفي عليه عمقا انسانيا فقد تمكن من تحويل معاناته الى طاقة ابداعية غنية انتجت نصوصاً شعرية مليئة بالمعاني الإنسانية والسياسية
ولا يزعم هذا البحث الإحاطة التامة بكل تجليات الانكسار حيث يبقى موضوع الانكسار في شعر ابن زيدون ميدانا خصبا للدراسة

(تجليات الانكسار في شعر ابن زيدون دراسة تحليلية) م.م زهراء حميد حسن كحيوش

الهوامش

- 1- لسان العرب ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، 1997 م، (مادةكسر)
- 2- معجم متن اللغة: احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان 1960م، ج5، ص 63
- 3- القاموس الوافي: شهاب الدين، مراجعه وتنقيح يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003 م، ص1077
- 4- ينظر: الانكسار في الشعر الاندلسي من ملوك الطوائف الى سقوط الاندلس دراسة اسلوبية، بشير اعبيد 2018 م، ص 13
- 5- ينظر: تاريخ الادب الاندلسي ،محمد زكريا عناني ، دار المعارف الجامعية، مصر، 1999م، ص 15- 20
- 6- ينظر : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس . أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي . تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتب اللبنانية، الطبعة الثانية، 1989م، ص. 121.
- وينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرةأبو الحسن بن علي بن بسام الشنتري. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م، ص. 207.
- 7- ينظر دولة الإسلام في الأندلس. محمد عبد الله عنان، - القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م، ج3، ص120 وكذلك ينظر ابن زيدون . علي عبد العظيم . القاهرة دار الكتب العربي .1967، ص57-60
- 8- ينظر: المطرب في أشعار أهل المغرب . ابن ديه، القاهرة، 1926م، ص755
- وينظر : المغرب والأندلس ، مصطفى الشكعة ، بيروت، 1987م، ص387 . 9- ينظر: الادب العربي في الأندلس ، علو ابراهيم ابو خش ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1966م، ص41
- وينظر : عصر ابن زيدون .جمعة شيخة ، الكويت ، 2004م ، ص 20
- ينظر : ابن زيدون : د. شوقي ضيف ، دارالمعارف، ط11، دت، ص43-10
- 11- ينظر عصر ابن زيدون :ص260-264
- 12- تاريخ الادب ال اندلسي : عصر الطوائف والمرابطين ، بيروت ، دار الثقافة ، 1983م، ص214
- 13- ديوان ابن زيدون ، يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1994م، ص25
- 14- الديوان: 298
- *الزهراء : من اهم المدن الاندلسيه التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة مقر الحكم الاموي وعاصمه سياسيه واداريه شيدت فيها القصور والحدائق لتصبح مواطن الترف والجمال ينظر: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، دار الثقافه ،بيروت ،لبنان ،ج2 ، ط3 ، ص 231
- الديوان: 197- 15
- 16- الديوان : 163
- 17-الديوان: 298
- 18- ينظر: سيميائية التوديع في ادب الفراق عند ابن زيدون: نهله عبد المعين الصيفي ،المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات ،كلية الاداب ،جامعه حائل المملكة العربية السعودية 2022 ، م ص 70
- 19- ينظر :السجن وأثره في الشعر الاندلسي ، د. محمد مسعد معجب ، جامعة الملكة آروى ، 2014، ص21
- 20-الديوان : 49
- 21-الديوان : 169
- 22-الديوان : 199
- 23-الديوان : 280
- 24-الديوان : 139
- 25-الديوان : 122

المصادر والمراجع :

1. ابن زيدون، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط11، د.ت.
2. ابن زيدون، علي عبد العظيم، القاهرة: دار الكتب العربي، 1967م.
3. الأدب العربي في الأندلس، علؤ إبراهيم أبو خش، القاهرة: دار الفكر العربي، 1966م.
4. الانكسار في الشعر الأندلسي من ملوك الطوائف إلى سقوط الأندلس: دراسة أسلوبية، بشير أعبيد، 2018م.
5. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، بيروت: دار الثقافة، ج2، ط3، د.ت.
6. تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكريا عناني، مصر: دار المعارف الجامعية، 1999م.
7. تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، بيروت: دار الثقافة، 1983م.
8. ديوان ابن زيدون، يوسف فرحات، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1994م.
9. دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م.
10. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م.
11. السجن وأثره في الشعر الأندلسي، د. محمد مسعد معجب، جامعة الملكة أروى.
12. سيميائية التوديع في أدب الفراق عند ابن زيدون، نهلة عبد المعين الصيفي، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، كلية الآداب، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية، 2022م.
13. عصر ابن زيدون، جمعة شيخة، الكويت، 2004م.
14. القاموس الوافي، شهاب الدين، مراجعة وتنقيح يوسف البقاعي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003م.
15. لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دار صادر، ط1، 1997م، (مادة كسر).
16. المطرب في أشعار أهل المغرب، ابن دحية، القاهرة، 1926م.
17. المغرب والأندلس، مصطفى الشكعة، بيروت، 1987م.
18. معجم متن اللغة، أحمد رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1960م.
19. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتب اللبنانية، ط2، 1989م.

(تجلیات الانکسار فی شعر ابن زیدون دراسة تحليلية)
م.م زهراء حمید حسن کحیوش

alhadaf walmurajaat :

1. abn zaydun, da. shawqi dayfa, dar almaearifi, ta11, da.t.
2. abn zaydun, ealiin eabd aleazimi, alqahirati: dar alkitub alearabiati, 1967m.
3. al'adab alearabiu fi al'andilisi, ealu 'iibrahim 'abu khash, alqahirati: dar alfikr alearbii, 1966m.
4. aliainkisar fi shier al'andalusii min muluk altawayif 'iilaa suqut al'andalsa: dirasat 'uslubiat, bashir 'aebid, 2018m.
5. albayan almaghrib fi 'akhbar al'andalus walmaghribi, abn eadhari almarakishi, bayrut: dar althaqafati, ja2, ta3, da.t.
6. tarikh al'adab al'andalsi, muhamad zakariaa eanani, masra: dar almaearif aljamieati, 1999m.
7. tarikh al'adab al'andalsi: easr altaayifat walmurabitina, bayrut: dar althaqafati, 1983m.
8. diwan abn zidun, yusif farahati, bayrut: dar alkitaab alearabii, ta3, 1994m.
9. dawlat al'iislam fi al'andalsi, muhamad eabd allah eanan, alqahirati: maktabat alkhajji, 1997m.
10. aldakhirat fi mahasin 'ahl aljazirati, 'abu alhasan ealiin bin basaam alshintirini, matbaeat lajnat altaalif waltarjamat walnashri, 1939m.
11. sijn wa'atharuh fi alshier al'andalsi, du. muhamad musead muejab, jamieat almalikat 'arwaa.
12. simayiyat altawdie fi 'adab alfiraq eind aibn zaydun, nahlat eabd almuein alsayfi, almajalat aldawliat liltasjilat waldirasati, kuliyat aladab, jamieat hayl, almamlakat alearabiat alsueudiat, 2022m.
13. easr abn zaydun, jumeat shaykhata, alkuayti, 2004m.
14. alqamus alwafi, shihab aldiyn, murajaat watanqih yusuf alhasharataei, bayrut: dar alfikr liltibaeat walnashri, ta1, 2003m.
15. lisan alearabi, abn albasaru, bayrut: dar sadir, ta1, 1997m, (madat kasr).
16. aldarb fi 'ashear 'ahl almaghribi, abn dahiati, alqahirati, 1926mi.
17. almaghrib wal'andalsa, mustafaa alshukeati, birut, 1987m.
18. muejam matn allughati, 'ahmad rida, bayrut: dar maktabat alhayati, 1960m.
19. jadhwat almuqtabas fi tarikh eulama' al'andals, 'abu eabd allah muhamad bin 'abi nasr alhumaydi, tahqiq 'iibrahim al'abyari, bayrut: dar alkitub allubnaniati, ta2, 1989m